

جريدة "البرق" الزاهرية 1927 م : قوالها الأدبية

أ. عبد الكريم طيش. المركز الجامعي — ميله — الجزائر.

جريدة "البرق" أسبوعية ، أصدرها الأديب محمد السعيد الزاهري عام 1927م ، بمدينة قسنطينة ، بدءا من العدد الأول المؤرخ يوم الاثنين 3 رمضان 1345هـ الموافق لـ 7 مارس 1927م ، وانتهاء بآخر عدد منها ليوم الاثنين 1 صفر الخير 1346هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م .

لا يمكن الوصول إلى معرفة الأنماط الكتابة السائدة على صفحاتها ، إلا بعد الاطلاع على محتواها العام وهذا ليس بالأمر المستحيل إذ الجريدة موجودة بالأرشيف في قسنطينة . ورغم قلة أعدادها إلا أنها وثيقة هامة تبين لنا مدى اهتمام الكتاب وأدباء الحركة الوطنية الجزائرية بقوالب الكتابة الأدبية وغير الأدبية لفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد وجدنا هذه الأشكال مختلفة ومتفاوتة الحضور، وهذه بعض تفاصيل ذلك :

يجدر بنا قبل عرض الأنماط والأشكال التي أشرت إليها قبل قليل في الجداول أن نعرف ببعض المصطلحات الخاصة في هذا الشأن :

الأنماط: نمط تنميطا لفلان الشيء وعلى الشيء : دله عليه ، أنمط عليه . أنمط له العطاء : أقله . النمط : جماعة من الناس أمرهم واحد . جمع أنماط ونماط ، والنسبة أنماطي ، ونمطي . الطريقة والمذهب والنوع من الشيء . يقال : هذا من نمط هذا ... ما عنده نمط من العلم أي نوع منه . الأنمط : الطريقة .⁽¹⁾

والمقصود بالأنماط في بحثنا لا يخرج عن هذا التعريف، إذ نقصد به الأشكال والقوالب الكتابية الصحفية والأدبية التي تحمل المضمون الصحفي أو الفني المقدم للقراء. وتختلف هذه (الأنماط) وتلك القوالب الصحفية إلى الخبر والمقال والتحقيق والتقرير والحديث الصحفي، أما القوالب والأنماط الأدبية فهي القصيدة والحكاية والقصة وغيرها.

التحرير الصحفي : يقول ابن منظور عن معنى تحرير الكتابة بأنها : إقامة حروفها وإصلاح السقط (2). ولأن مجال بحثنا لا يسمح بعرض آراء الباحثين الكثيرة في معنى التحرير الصحفي فإننا نورد ما قاله الدكتور شعيب الغباشي (3) ، من أن التحرير الصحفي هو : العملية التي يتم من خلالها عرض الأحداث والقضايا والموضوعات المتنوعة ، وتقديمها للقراء عبر الصحيفة ، وذلك من خلال استخدام الأشكال والأنماط التحريرية المختلفة (4) .

إن القالب الأكثر تناسبا من غيره لمثل جريدة "البرق" هو القالب الصحفي - وفي ظننا - لأن الجريدة نشطت في بيئة استعمارية ، وكانت جريدة رأي مقاوم للاحتلال الفرنسي وأتباعه ، ومن جهة أخرى فهي أسبوعية وبحاجة ماسة إلى الحديث الخبيري ، والمقال النقدي ، والأدبي ، والسياسي ، والاجتماعي ، والديني ، إذ أن المقال الصحفي يعطي للصحيفة الأسبوعية أو الشهرية الفرصة للتعبير عن رؤيتها الخاصة للأحداث ، وذلك من خلال شرحها وتفسيرها لهذه الأحداث من منطلق تلك الرؤية والتعليق عليها بما يكشف عن أبعادها ودلالاتها المختلفة (5). ويبلغ عدد موضوعات القوالب والأشكال التي تضمنتها جميع أعداد (6) جريدة "البرق" ستة ومائتين موضوعا (206) ، وذلك بمعدل تسعة مواضيع لكل عدد .

وإذا قصدنا بالمقال الصحفي - غير الخبيري - تلك الفكرة التي (يقتنصها الصحفي من خلال معاشته الكاملة للأنباء والآراء والقضايا والاتجاهات

والمواقف والمشكلات المؤثرة على القراءة وفي حركة المجتمع ، يقوم بعرضها وشرحها وتأييدها أو معارضتها ، في لغة واضحة ، وأسلوب يعكس شخصيته وفكره ، وتشر في الوقت المناسب ، وفي حجم يتلاءم مع نوعيتها وأهميتها ونتائجها المستهدفة (7). أو هو الوسيلة التي تعبر بشكل مباشر عن سياسة الصحيفة وعن آراء بعض كتّابها في الأحداث اليومية الجارية ، وفي القضايا التي تشغل الرأي العام والدولي ، فيأتي المقال في مقدمة الأشكال والأنماط المشكلة لمادة جريدة "البرق" . فقد وصل إلى ثمانية ومائة موضوعا (108)، بمعدل أربع مقالات (04) - تقريبا - لكل عدد . وإذا تساءلنا عن مكانة محمد السعيد الزاهري في الكتابة ضمن هذه الصحيفة، فإننا نجد له أربعين موضوعا ما بين المقال الصحفي والتحليلي والنقدي والأدبي. وهذا يكشف عن المجهود الكتابي الفكري والأدبي والصحفي لهذا الأديب في محاولة إنجاح المسار الصحفي في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى.

وإذا كان المقصود بالخبر الصحفي هو : (تلك المعلومات الدقيقة والصادقة التي تصف وتشرح (واقعة) جرت لأول مرة ، وتهم فئة من الفئات ، أو جماعة من الجماعات، أو أنه (تقرير) عن حدث لم يكن معروفا عند الناس من قبل ، جمع بدقة من مصادر موثوق بصحتها على أن يتناول كتابته محررون متخصصون في العمل الصحفي) (8). فإن جريدة "البرق" قد أولت لهذا النوع من الكتابة اهتماما كبيرا بحيث نجدها قد تضمنت أربعة وعشرين (24) خبرا متنوعا ، وهذا إذا استثنينا الإعلانات الإشهارية سواء التي تتعلق بقدوم العلماء إلى مدينة قسنطينة ، مثل قدوم الشاعر محمد الهادي الزاهري من مدينة بسكرة إلى مدينة قسنطينة ، أو ما تعلق بإصدارات الكتب والجرائد مثل دعوة جمهور القراء إلى اقتناء كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" مثلا .

وبخصوص فن الرسائل فقد احتوت جريدة "البرق" أيضا على عشر (9) رسائل منها ما كانت بين العلماء ، ورأى البعض منهم ضرورة نشرها على صفحات الجرائد لفوائدها مثل رسالة محمد السعيد الزاهري إلى أبي حفص الحمادي ، ومنها ما كانت الجريدة عبارة عن متنفس تبادل من خلالها الكتاب أفكارهم مثل رسالة "إلى الأخوين بيضاوي وتأبط شرا" .

أما فن السيرة فهو الآخر كان حاضرا ، حيث أبدى من خلاله أدباء الحركة الوطنية وكتابها مقاومتهم للأفكار الهدامة التي روجتها بعض الطرق . مثل الطريقة العليوية . وقد بلغ عدد هذه السير ست (06) رسائل في مواضيع مختلفة . أما الشعر فهو من الأشكال الأدبية الأخرى التي احتلت مكانة في جريدة "البرق" . فالقصيدة العربية حاضرة هي الأخرى ، وجلها من إمضاء الشعراء الجزائريين . ومجموع ما نشر في هذه الجريدة إحدى عشرة (10) قصيدة كلها عمودية . وهذا جدول لتوضيح المحتويات ونسبها :

مجموع الأشكال والأنماط	206	
المقال الصحفي	108	52.24%
النقدي	22	10.7%
السياسي	28	13.6%
الديني	15	7.3%
الاقتصادي	05	2.4%
الاجتماعي	11	5.3%
القصائد	11	5.3%
السير	06	2.9%
الرسائل	10	4.9%
كتابات محمد السعيد الزاهري	40	19.4%

نماذج من الأشكال الكتابية في جريدة "البرق" :

1- المقال الافتتاحي :

ما لاحظناه على كتابات جريدة "البرق" هو أنها تضمنت مقالا افتتاحيا واحدا ، في العدد الأول فقط . ويعتبر "المقال الافتتاحي" أحد أنواع المقال الصحفي الذي يعبر عن سياسة الجريدة ورؤيتها للأحداث ، والذي يعتمد على الشرح والتفسير والإيضاح ، والمؤيد بالحجج والبراهين والإحصاءات والبيانات للوصول في نهاية الأمر إلى إقناع القارئ وكسب تأييده(9). إن المقال بصفة عامة كما عرفه بعض النقاد هو (قطعة نثرية محدودة الطول ، والموضوع يكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق ، وشرطه الأول أن يكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب) (11). لكننا سنجد المقال الافتتاحي الوحيد في الجريدة والموسوم بـ "الفاحة" يختلف بعض الشيء في كونه لم يوقع باسم كاتبه لأنه يعبر عن رأي الجريدة لا رأي صاحبه ، فقد رسم هذا المقال المنهج العام لسياسة الجريدة . وفي ظننا أن المقال لمحمد السعيد الزاهري ، ونحن في هذا الظن نؤيد ما أشار إليه محمد ناصر في كتابه (المقالة الصحفية -نشأتها وتطورها وأعلامها ، من 1903م إلى 1931م .

جاء المقال بعنوان "الفاحة"(11) تيمنا باسم سورة من سور القرآن الكريم هي سورة الفاتحة ، والعنوان يشير إلى تأثر محمد السعيد الزاهري خريج الزيتونة بأسلوب القرآن والتراث الإسلامي عموما .

وبعد البسلة حدد الكاتب موقفه من أمته قائلا : (باسم الله أستعين على خدمة هذا الشعب بما أنا أهله ، وبما أوتيت من موهبة ونبوغ ، فلا أدع طريقا

من الطرق إلى نفع أممي إلا سلكته ولا وسيلة توفي على خير البلاد إلا اتبعتها (12). ثم تطرق في فقرة أخرى إلى مهنة الصحافة فوضح اعتقاده فيها ، وحجم انتفاع الأمم من أقلام كتابها ، فقال : (سأخدم أممي وأنا أعتقد أن الصحافة مهنة شريفة ، وأنه ليس كمثلهما من سبيل إلى نفع الأمة ، وأنه ليس كمثلهما أقلام الكتاب من رافع لشأن الشعوب ، ولم يكن زعيم من الزعماء بقادر على أن يغني عن أمته شيئا إذا لم يكن في نصرته قلم مبين) (13).

ويرى الزاهري بعد ذلك في مقاله هذا أن الصحافة ليست من اختراع المدنية الحديثة، لأنها أمر طبيعي لكل أمة من الأمم، وصفة نفسانية لكل شعب. ويكس الفرق بين صحافة القلم وصحافة الحديث في الاسم فقط ، فالشعر قديما هو الصحافة حديثا وما الصحفيون اليوم إلا شعراء في القلم . وأيد الكاتب رأيه بقوله : "لقد كانت العرب تسمي الشعراء ألسنة القبائل ، كما نسمي نحن الصحفيين ألسنة الأمم ، سواء بسواء ، وإذا كان هناك فرق بين الشعراء والصحافة اليوم ، فليس هناك من فرق بين شعر الجاهلية وبين الصحافة" (14) ثم دلل على هذا الرأي بقوله : "مليء شعر الجاهلية بأيام العرب وأخبار الحروب والفخر والدفاع وما إلى ذلك من موضوعات الصحف في هذا اليوم ، وللصحافة في الدين مكانة معتبرة فلقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة شعراء ينافحون عنه وما هم إلا كبريات صحف هذا العصر" (15).

بعد أن بين الزاهري موقفه من مهنة الصحافة ، حدد رأيه من تعدد وجهات النظر واختلافها لدى الكتاب من حيث حاجة الأمة الجزائرية إلى أنواعها الدينية والسياسية ، وكان هذا الرأي هو : "وأنا لا أرى وجهها من وجوه الصحافة أحق بالتقدم من سواه ، فكما أننا محتاجون إلى الصحف السياسية ، محتاجون إلى الصحف الدينية وغير ذلك" (16).

كانت خاتمة المقال تلخيصا لنقاط الخطة المستقبلية لجريدة "البرق" وهي :

- الاهتمام بالتجارة وأسعار السوق .
- الاعتناء بالحوادث الأليمة للجزائريين .
- انتقاد بعض الشخصيات البارزة انتقادا عفيفا لا يقصد منه غير التهذيب.

- الاعتناء بالأدب العربي .

2- نموذج من الخبر الصحفي :

إن الأحداث الأليمة التي ذهب ضحيتها المواطن الجزائري في ظل وجود المحتل الفرنسي كثيرة ، منها هذا الخبر الذي نقله الكاتب (محمد بن العابد الجيلالي) (17) من محطة القطار بمدينة قسنطينة ، وأرسل به إلى جريدة "البرق" ، العدد 20 العشرين ، تحت عنوان "مظاهر العدل في خفايا الإدارة " بدأ الكاتب خبره بذكر تاريخ الحادثة ومكانها ، والشخصية التي تعرضت لظلم أحد المعمرين . فكان اليوم الثالث عشر من شهر جويلية ، والمكان هو محطة القطار أين يتواجد الحمالون ، أما المعتدى عليه فمواطن جزائري اسمه أحمد الأخضر حارس بفندق بن شريف ، كان ينتظر دوره . أما المعتدي فأحد ملوك المعمرين . وتمثلت حادثة الاعتداء في الصورة التي أوردها الكاتب حين : (.... دخل أحد ملوك المعمرين من عملة (لافي) الطحان ، فدفع ذلك الحمال عن موقفه وتقدم إليه بدون اكتراث . إلا أن ذلك الأهلي العاصي الثائر قد أساء الأدب مع سيده ومالك رقبته بقوله : إني سابقك - بلسانه فقط - فلم يتوقف ذلك الملك العادل أن عقد جمعه ونزل عليه بضربة كادت تذهب بعينه اليسرى لولا أن الله سلم) (18). ويواصل الكاتب خبره باستشارة الحاضرين على المعتدى عليه بأن يشتكي إلى الإدارة ليأخذ حقه من الظالم ، ويذهب هذا الأخير إلى مقر الإدارة التي لم تعره أي اهتمام ، ولم تسمع لمظلمته بل تركته واقفا لساعات طويلة . قال الكاتب : (وفي الأخير أدرك غلظه وخرج يتعثر في أذيال خيبته مهضوم الحق

منهك الجسم (19). وبعد أن بين الكاتب الوضعية المزرية للجزائري في ظل إدارة المحتل الفرنسي ختم مقاله بتساؤل استنكاري وجهه إلى القارئ قائلا : (أجيني - بحياتك - أيها القارئ الكريم عن ما هي الوسيلة التي ينبغي لنا اتخاذها وأخذ حقوقنا؟) (20) .

ومثل هذه الحوادث كثيرة يتعرض لها الجزائري - كما قال الكاتب نفسه - في كل مكان وكل زمان وكل ساعة بل في كل ثانية .
هذا نموذج من الخبر الصحفي الذي كان كتاب الحركة الوطنية يحرصون على نشره بغية معالجة الأحداث الأليمة التي تثقل كاهل المواطن الجزائري كل يوم .

وبما أن الخبر الصحفي يتضمن كل ما له علاقة بما ينتظره القارئ من جديد سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي ، فقد اهتمت جريدة "البرق" أيضا بكل جديد يصدر من كتب أو مجلات . وكما كان الإعلان عن ميلاد رصيفة جديدة هي جريدة "المعيار" - مثلا- قامت إدارة "البرق" بالإشهار لكتاب "ديوان شعراء الجزائر في العصر الحاضر" للكاتب محمد الهادي الزاهري وكان ذلك كالتالي ، في العدد 1 ص 3 :

إعلان

(ديوان شعراء الجزائر في العصر الحاضر) .

(ألفه صاحب الغزيمة المشعلة والعبقرية الفذة ، النابغة السيد محمد الهادي السنوسي الزاهري ، الشاب الجزائري . وهو ديوان يترجم حقيقة عن النهضة الأدبية بالجزائر وما وصلت إليه من الرقي في هذه المدة . يضم هذا الديوان بين (دفتيه رسول فتیان الجزائر) وكتبهم الخاصة وتراجمهم وأشياء من أشعارهم بما تعلم أن بالجزائر شعراء فحلاء وكتبة متقدمين . طبع في ورق صقيل بحروف

جميلة . يطلب من المكاتب التونسية أو من المكتبة العربية ببسكرة ومن إدارة البرق) .

ومن الخبر يمكن الإشارة إلى الأسلوب الذي كانت الجرائد تتعامل به مع مثل هذه الأخبار الثقافية المهمة .

3 - الأشكال الأدبية المترجمة : من المواضيع المهمة التي تضمنتها جريدة "البرق" ترجمة قصيدة شعرية رومانسية للشاعر الفرنسي (أندري نينه) ، تشير بوضوح إلى اهتمام أدباء الجزائر في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى بالآداب الأجنبية وتتبع أخبارها ومحاولة ربط الناس بكل ما هو جديد ، ليسايروا تطور الحركة الأدبية العالمية .

نقل القصيدة إلى العربية شاب جزائري - آنذاك - اسمه "محمد كباش" ، وقد نوهت إدارة جريدة "البرق" بجهده ، واعتبرته أول من بدأ يخدم الجزائر بهذا الوجه ، وتمنت على شباب الجزائر الاقتداء به لنقل إلى لغتهم ما يروونه في الفرنسية مفيدا (21).

كانت القصيدة تحت عنوان "الحرية" (22) وهي عبارة محادثة بين راعي الغنم ومالكها . وقد بدأها الشاعر بإضفاء مسحة رومانسية على الراعي وهو يرعى الغنم وحده في البراري القاحلة ، والتلال الوعرة ، دون أن يستولي عليه الخوف ، أو يتطرق إلى قلبه الملل ، قائلا :

- أيها الراعي ، من أنت ؟ وما يزعجك ؟ وأيّ حزن هدل على عينيك هذا الشعر الأشعث ؟ .

- متى تتخلص من هذه الأرض القاحلة وهذه التلال الوعرة التي لم نر فيها سواك ، ولا يمكن لأي إنسان أن يدنو منها دون أن يستولي عليه الروح وينال منه التعب ؟.

وبلفتة فنية حاول الراعي أن يعبر عن عشقه للحرية وهيامه بمعانيها انطلاقاً من الحرية التي يتمتع بها مخاطبه ، رد عليه قائلاً :

- ليس عندي شك أنه تروكك جدا ، وتعجبك المروج الخضراء والأحراش الجميلة إنك لقادر ... باق هنا في هذا الموضع المخيف تحت هذا الكهف جالسا على الصخر ، انتظر مضي النهار .

حاول مالك الغنم أن يدخل السلوى على قلب الراعي وأن يبعد عنه الكتابة والتشاؤم وذلك عن طريق معاني دينية مؤثرة ، وأخرى نفسية مقنعة فقال له :

- لكن (سيريس) (23) لعنت هذه الأرض الصلبة الخشنة التي يشقها هذا النهر الأسود لسواد صخوره ، ولماثة الكدر العفن ... فليس فيها من شجر ولا ظلة تأوي إليه الطيور ... هل لك أن تلهو بهذا المزمار ... ستجد فيها (الأنغام) من اللذة ما لم تجده في الهواتف من الطير ، ولا نغم البلابل .

رأى الراعي أن الصراحة راحة له ، فانفجرت نفسيته بمعاني الوله والهيام بالحرية التي لا يجدها في نايه ونغماته الشجية ، ولا في شهوات الدنيا كلها .

- ماذا أصنع بزجرتك ؟ وماذا تجدي علي عطيتك هذه ؟ فأصوات الليل التي أسمعها في ظلمة الليل تملأني حزنا وحسرة أحب إليّ وأشهى من النغمات المطربة اللذيذة ... إني أفرّ من شهواتكم كلّها، فلا أحب أن أرى الأزهار وقد توجها التدى ... إني عبد ، لا تملك يدي حرية نفسي .

وفي خاتمة القصيدة يصل الشاعر إلى حكمة إنسانية وقانون رباني هو (أن الرق لو قرّ لا يحتمل ، وكل امرئ يجب أن يعيش حرا طليقا لا يتصرف في ذاته أحد غير ضميره . وينبغي لكل إنسان أن يحذر كل الحذر من أن يستخدم ، أو يصبح ألعبه قانون باغ ، أو يعيش لما رب أخرى) .

وفي النهاية توجت القصيدة بهذا النداء الذي يصور مدى تعطش الإنسان في هذه الدنيا إلى الحرية .

- احفظني أيتها الحرية أبد الدهر، وأخرى الليالي، احفظني أيتها الحرية العزيرة. يا أم الفضيلة. يا أم الوطن.

وكما يدي لنا هذا النص المترجم من ناحية تأثر أدباء الجزائر - هذه الفترة - بالمذهب الرومانسي الغارق في الذاتية والسائد في أوروبا ، فإنه يدل على أن فترة ما بين الحربين العالميتين قد عرفت أدباء جزائريين لم تكن بينهم وبين الآداب الأجنبية قطيعة . أما من حيث الأسلوب فألفاظ القصيدة وعباراتها تعتبر وثيقة تاريخية دالة على جنوح واضح - لبعض أدباء الجزائر في هذه الفترة - إلى السهولة والبساطة في التعبير والابتعاد عن الغرابة .

تكلما قبل قليل عن الأشكال والقوالب الأدبية وغير الأدبية محتوية جريدة "البرق" ، وتعرضنا إلى تعريفات بعض مصطلحاتها ، ثم إلى نسبها ، وكذلك توقفنا عند بعض النماذج منها كالخبر الصحفي ، والمقال الافتتاحي . وبما أن جريدة البرق قد تنوعت كتابات كاتبها كان لابد من أن نقف عند بعض الأشكال الأدبية الأخرى التي رأينا وجودها في الجريدة قد أدى دورا متميزا في مقاومة المحتل وأتباعه بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. وهذه الأشكال الأدبية هي: القصيدة، والسيرة، والرسالة.

4 - القصيدة وفن الرسالة والسيرة :

ليس من أهداف جريدة "البرق" مقاومة الطريقة فحسب كما أشار إلى ذلك الباحثون حينما تعرضوا لمسألة التصدي للفئات التي استخدمها المحتل في تشويه العقيدة الإسلامية وإفراغها من محتواها الحضاري بهدف استمراره في استنزاف ثروات الجزائر ، بل جاء ذلك ضمن نقاط الخطة المرسومة لجريدة "البرق" من أجل الاهتمام بقضايا المجتمع في مناحي مختلفة ، سواء أكانت ناتجة

عن الظلم الاستعماري أم عن الأمراض الفكرية والثقافية التي نتجت أيضا عن الوجود الاستعماري ، ومن هذه الأمراض (الطرقية) بما أنها انحراف فكري وتشويه عقدي ، ثم إن الصحافة تفهم بالأدب ، من حيث أن معظم الصحفيين من الأدباء . وكان ذلك واضحا من خلال الأنواع الأدبية التي سمحت الظروف الصعبة بإيرادها ، سواء كانت أنواعا نثرية ، أم أغراضا شعرية ، بغض النظر عن الموضوعات والأغراض .

ويهمنا هنا التطرق للقصائد المثبتة في جميع الأعداد ، الموحية إلى مدى اهتمام الجزائريين ، وبخاصة المثقفين وأصحاب الرأي من صحفيين وغيرهم ... من حيث أن هذه الفئات تعمل على تنوير المجتمع من خلال ما ينشر في الصحافة ، بما يعمل على أو يدفع إلى استعادة مجد الأمة الجزائرية .

وفي أعداد جريدة "البرق" الثلاثة والعشرين ، رأينا اثني عشر قصيدة ، منها سبع لشعراء جزائريين ، واثنان مأخوذتان من جريدتي " الزهراء " و " المقتطف " ، وقصيدة من المغرب الأقصى والأخرى من تونس ، وبيتمة رومانسية مترجمة من اللغة الفرنسية تنم عن طاقة الشباب الجزائري الناهض في ميدان الأدب قبل الحرب العالمية الثانية .

أما عن أطول قصيدة فكانت للشاعر (عباسة الاخضرى) بخمسة وخمسين بيتا ، في العدد العشرين (24) ، تحت عنوان : " الشعر الفحل في الرد على عصابة الباطل والجهل " . والثانية للشاعر حسان بن ثابت من المغرب نشرت بالعدد نفسه تحت عنوان " إلى شاعر الشيوخ " . وأما أقلاها عددا فهي لشاعر سلفي بسبعة أبيات تحت عنوان " من هو تأبط شرا " . والبقية فهي كالتالي :

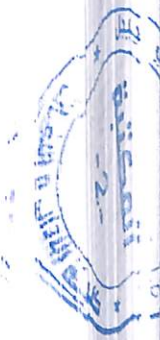
- قصيدة للطبيب العقبي بستة وأربعين بيتا .
- قصيدة لإيليا ابو ماضي باثنتين وأربعين بيتا .
- قصيدة لمحمود بورقيبة من تونس بثلاثين بيتا .

- قصيدة لسكيرج باثنتين وعشرين بيتا .
- قصيدة للشاعر رمضان حمود بثمانية عشر بيتا .
- قصيدة لمحمد يحيى الصقلي الحسني بثلاثة عشر بيتا .
- قصيدة لأحمد بن عليوة بعشرة أبيات .

فإذا نظرنا إلى القصائد من حيث الأغراض فإننا نجد لها منوعة ، تعالج المسائل التي لها صلة وطيدة بالواقع المعيش للمواطن الجزائري آنذاك ، وأهملها تلك المتعلقة بالطرقية ورجالها ، وجريدتهم المسماة بـ "البلاغ" ، وكذلك العلماء المصلحين وجرائدهم كـ "الشهاب" و "البرق" الصادرتين وقتئذ .

وإذا كان الكاتب زهير الزاهري (25) قد تصيد قصيدة أحمد بن عليوة - شيخ الطريقة العليوية ومؤسسها - فضمنها مقالة " أضمرنا خلاف ما أظهرنا ففضحهم الله " لينفذ من خلاله إلى فضح هذه الفئة الضالة وما تعتقده من كفر بواح ، وإلحاد صريح ، فإن جريدة "البرق" كشفت - من خلال القصيدة المترجمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية - عن اهتمام الشباب الجزائري الناهض بالآداب الأجنبية ، ومتابعة لما يكتب في جرائد العالم ، من خلال ما ينشر في الجرائد الفرنسية على الرغم من محاربة المحتل لهم .

ولم تنس جريدة "البرق" ما يريح القارئ الأديب من عناء القضايا السياسية والاجتماعية والمعالجة المشبوهة للجانب الديني .. من خلال نشرها للمقالات الطوال المعالجة لهذه القضايا ، بل عمدت إلى إيجاد ركن يعمل على طرد العناء ، فكان تحت عنوان (الأدبيات) ، ويحتوي على أبيات متنوعة مضمونها ، لكن هذا الركن لم يقو على الاستمرار ، فقد ظهر في ثلاثة أعداد فقط هي : العدد الأول وكان في الصفحة الأولى ، والعدد الثالث وكان في الصفحة الثالثة ، والعدد الخامس وكان في الصفحة الثالثة .



وجاءت أدبيات العدد الأول بعنوانين الأول (عاصمة الجزائر) ، والثاني (العتاب الرقيق) . أما الأبيات التي جاءت في وصف العاصمة فهي للشاعر خمار ووالشاعر الطيب العقبي والشاعر محمد السعيد الزاهري ، وهي على التوالي :

خمار : قسما بالصبا وحسن الجزائر أن نسيانها لإحدى الكبائر

العقبي : حيثما تلفت تجد قمرا يز هو ، وشمسا بديعة الإشراف

وجميلا تلا جميلا ومعشو قاغدا في جماعة العشاق

وهكذا كلها الجزائر فانظر فائنات ، وفائن في الزقاق

السعيد الزاهري :

ويلاه من هذه الجزائر إنها مرعى الظباء ومسباح الأقمار

في كل فج يلتقنيك بين حاسرة محياها وذات عجار

إن لم تقع بشراك مريم لم تكن يوما لتنجو من حبال ماري

أما الأبيات التي وردت في العتاب الرقيق ، فلشاعر رمز لاسمه بأديب حين عقد - في أبياته - عقد من خلالها محاورة عتاب بين امرأة وزوجها الذي هجرها .

فقال على لسان المرأة ثم على لسان الرجل :

المرأة : وأنت الذي أخلفني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا أرمي وأنت سليم

فلو كان قول يكلم الجلد قد بدا بجلدي من قول الوشاة كلوم

الرجل : وصلتك لما كان ودك خالصا وعفتك لما صرت نجا مقسما

ولا يلبث القول الجديد بناؤه إذا كثر الورد أن تهدما (26)

وأما أدبيات العدد الثالث فتوقيع (أديب) أيضا ، حين صرح هذا الأديب أنه لم يقرأ قط شعرا في وصف ذكرى المحبين كهذين البيتين :

خطرات ذكرى تستثير مودتي فأحس منها في الفؤاد ديبا

لا عضو لي إلا فيه صبا ففكان أعضائي خلفهن قلوبا

ولم ير الشاعر - أيضا - أدمى من هاتين المقروحتين :
ولي كبد مقروحة من يبيعي بها كبدا ليست بذات قروح
أباها علي الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح .
ثم يعلق " أديب " بما يثير حفيظة شعراء الجزائر حاثا إياهم على التصوير
بقوة لمأساة الأمة الجزائرية (27).

ولم يأب أديب في ركن أدبيات العدد الخامس إلا أن يحلي الصفحة الثانية
ببيتين في الشعر الاشتراكي على لسان أعرابي قائلا :

إذا كنت ربا للقلوص فلا يكن رفيقك يمشي حولها غير راكب
أنخها فاردفه فإن حملتكم - فذاك ، وإن كان العقاب فعاقب
ولا بد أن نشير هنا إلى أن بعض المقالات تحتوي على مقطوعات شعرية
رصع الكتاب بها مواضيعهم على عادة الأدباء القدامى ، مما يدل على تأثر أدباء
الحركة الوطنية الجزائرية في العقد الثالث من القرن العشرين - وإن بدت منهم
محاولات لتخليص الأدب مما علق به - بعض هذه الأبيات التي تضمنتها المقالات
لشعراء من مختلف العصور الأدبية ، أما البعض الآخر فلأصحاب المقالات
أنفسهم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في العدد الثامن من قول محمد
السعيد الزاهري في صديقه العمودي - وكلاهما من الشعراء - الذي أصابه
التعاس من وعك ألم به في ليلة سمر جمعتهما في رحلة صحراوية بالشاعرين محمد
العيد آل خليفة والطيب العقبي :

أما محمد العيد فقال يهجو هذه الليلة :

دعوا الأمين وما يلقاه من وعك فليس يرغب في هو ولا ضحك
وإن شعركم هذا لكثرت صار يشبه نثر ... المالكي (28).
وكانت مباراتهم الشعرية في ليلتهم تلك تدور حول ذم العادات والتقاليد
الفاصلة فلما قال الزاهري يذم عادة ذبح بعض أهالي الصحراء على العين :

لا تنبع العين في الزيان جارية إلا إذا ذبحوا للعين عتروسا
رد عليه محمد العيد آل خليفة قائلا :

ماذا جنى وهو بهم غير مقترف ذنبا ، فحكمتما في حلقة الموسيقى (29)
ونذكر أن محمد السعيد الزاهري أبياتا ثلاثا مأخوذة من قصيدة كتبها
بمناسبة تكريم أدباء الجزائر لأمير الشعراء أحمد شوقي في حفلة منعت سلطات
الاحتلال إقامتها ، بسبب موقف شوقي من الاستعمار في قصيدته نكبة دمشق .
ومن باب الذكر فإن فرنسا تعتبر شوقي عدوها السياسي الخطير . وإن كنا لا
نعرف من القصيدة إلا هذه الأبيات الثلاثة ومن المدعوين للحفلة إلا الزاهري ،
فإننا نستشف من الأبيات ومن المناسبة مدى تعلق وارتباط شعراء الحركة الوطنية
بالجزائر السليبة ، وهذه الأبيات هي :

إذا كان عشق في المها وهيام فلي في بلادي دوخن غرام
فلم يبق عن حب الجزائر لهوى ال حسان بقلبي موضع ومقام
أحب بلادي : أرضها وسمائها وأعشق فيها الليل وهو ظلام. (30)
ومن بين ما بثه محمد السعيد الزاهري من أبيات في جريدة "البرق"
ساخرا بأحد زعماء الطريقة ومن كتاب البلاغ الرئيسيين وبخاصة من ذلك
الكاتب الذي يدعى (سكيرج) :

سكيرج يا سكير تمجو شبيبة بشعر كجلاء الكلب حين يفور
سكيرج أمسك عن خوارك برهة فما أنت إلا في الحقيقة ثور (31).

من الفنون التي أولاهها العرب والمسلمون اهتماما كبيرا منذ قيام الدولة
الإسلامية وتوسعها شرقا وغربا ، واحتفوا بها احتفاء كبيرا ، فن كتابة السير
والتراجم حيث أصبح الأكثر - عالميا - ترتيبا للأعلام ، وتحقيقا للأنساب ،
وذكرا لمصادر الأخبار . أقدمها زمانا وأشهرها ذكرا سيرة الرسول صلى الله عليه

وسلم لعبد الملك بن هشام. ثم تابع الفن مسيرته ليشمل تراجم مشاهير الأعيان والوجهاء من الرجال والنساء، كالشعراء والفقهاء والمفسرين والمحدثين والقضاة والنحاة والفلاسفة والأطباء... فكان كتاب (طبقات فحول الشعراء) للجمحي، ثم كتاب (الأغاني) للأصفهاني، وكتاب (يتيمة الدهر) للثعالبي. وغيرها كثير في القدم والحديث. وهي لا تجري في ترتيب الأعلام على نهج واحد، فكل مؤلف يختار الطريقة التي يجدها أوفى بالغرض وأسهل في التناول، وقد جرى أكثرهم على ترتيب الأعلام حسب حروف الهجاء. وفي القرن العشرين حمل أدباء هذا الفن على عاتقهم مسؤولية التطوير، حتى لا يصبح مجرد جمع للأخبار، واستقصاء للمعارف، في غير تبويب، ولا تحليل، ولا تركيب، بل لتمييز بقواعده وضوابطه، معروضا في حلة أنيقة، وتحليل وفق ما توصلت إليه العلوم الحديثة من أجل تسليط الضوء على الجوانب الخفية من حياة المترجم له. كل ذلك وجدناه في مؤلفات أدباء العصر الحديث أمثال أحمد أمين في كتابه (حياتي)، وطه حسين في مؤلفه على (هامش السيرة)...

لم يكن هذا الفن غريبا على كتاب أو أدباء الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر في العقد الثالث من القرن العشرين؛ فقد احتوت منشوراتهم على الكثير من موضوعاته، نشرت على صفحات جرائد تلك الفترة من جريدة "المنتقد" إلى "الشهاب" مروراً بجريدة "البوق" (32). والحق أن كتاب هذه الجرائد لم يولوا الخصائص المميزة لهذا الفن (السيرة) اهتماما كبيرا بسبب الظروف الصعبة والأليمة التي كان يمر بها الوطن الجزائري المحتل، وهذا ما جعلهم يركزون على الأهداف المتوخاة لحركتهم التحررية في صراعها مع المحتل (إذ المعركة مع المحتل تحتم عليهم لضمان النصر ذكاء حادا، وبصيرة نفاذة، وأساليب علمية متنوعة، وقدرة على ضبط المراحل، وإعداد ما يناسبها من مختلف الوسائل) (33). ولما حدد أدباء الحركة الوطنية أهدافهم بدقة واختاروا مناهجهم بعناية

حسب تقصيصهم ميدان المقاومة ضد المحتل بجميع أبعاده ، صرفوا عن أذهانهم مسألة الالتزام بمميزات وخصائص الفنون الأدبية ، معتبرين الأهم لديهم تقوية ما وهن من أسس الأمة الجزائرية ، وتصحيح العقيدة ، والمفاهيم وتوحيد سبل المقاومة ، وتوجيه الطاقات توجيهها سليما . فخذ مثلا ما دأب عليه ابن باديس في جريدة "الشهاب" من تثبيت لتراجم أعلام الأمة العربية والإسلامية للعصر القديم والحديث من مفكرين وعلماء وأدباء ، كأبي ذر ، وعبادة بن الصامت ، وشوقي ورمضان حمود ، ومحمد رشيد رضا ... معتبرا حياتهم مثالا يحتذى ، وموتهم مصابا قوميا مؤلما ، بل ترك فراقهم فراغا عظيما في صفوف العاملين للنهوض الأدبي ، والرقى الفكري بالمجتمع العربي والإسلامي عموما .

ولم يكن غرض ابن باديس في كتاباته لتراجم مشاهير الأمة العربية والإسلامية التفتن في الخصائص الأدبية الحديثة المعروفة لمثل هذه الكتابات ، ولا كان في اعتباره ضرورة الالتزام بها كاملا بحيث لا يجوز الخروج عنها أو التعدي عليها معتبرا أن (ما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر فيه سيرة من كان من الشعوب قد شعر من الفنون التي أولاها العرب والمسلمون اهتماما كبيرا منذ قيام الدولة الإسلامية وتوسعها شرقا وغربا ، واحتفوا بها احتفاء كبيرا ، فن كتابة السير والتراجم حيث أصبح الأكثر - عالميا - ترتيبا للأعلام ، وتحقيقا للأنساب ، وذكرنا لمصادر الأخبار . أقدمها زمانا وأشهرها ذكر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الملك بن هشام . ثم تابع الفن مسيرته ليشمل تراجم مشاهير الأعيان والوجهاء من الرجال والنساء، كالشعراء والفقهاء والمفسرين والمحدثين والقضاة والنحاة والفلاسفة والأطباء... فكان كتاب (طبقات فحول الشعراء) للجمحي ، ثم كتاب (الأغاني) للأصفهاني ، و كتاب (يتيمة الدهر) للثعالبي . وغيرها كثير في القديم والحديث . وهي لا تجري في ترتيب الأعلام على نهج واحد، فكل مؤلف يختار الطريقة التي يجدها أوفى بالغرض وأسهل في تناول، وقد جرى

أكثرهم على ترتيب الأعلام حسب حروف الهجاء. وفي القرن العشرين حمل أدباء هذا الفن على عاتقهم مسؤولية التطوير ، حتى لا يصبح مجرد جمع للأخبار ، واستقصاء للمعارف ، في غير تبويب ، ولا تحليل ، و لا تركيب ، بل ليميز بقواعده وضوابطه ، معروضا في حلة أنيقة ، وتحليل وفق ما توصلت إليه العلوم الحديثة من أجل تسليط الضوء على الجوانب الخفية من حياة المترجم له . كل ذلك وجدناه في مؤلفات أدباء العصر الحديث أمثال أحمد أمين في كتابه (حياتي) ، وطه حسين في مؤلفه على (هامش السيرة)...

لم يكن هذا الفن غريبا على كتاب أو أدباء الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر في العقد الثالث من القرن العشرين ؛ فقد احتوت منشوراتهم على الكثير من موضوعاته ، نشرت على صفحات جرائد تلك الفترة من جريدة "المنتقد" إلى "الشهاب" مرورا بجريدة "البرق" (34). والحق أن كتاب هذه الجرائد لم يولوا الخصائص المميزة لهذا الفن (السيرة) اهتماما كبيرا بسبب الظروف الصعبة والأليمة التي كان يمر بها الوطن الجزائري المحتل ، وهذا ما جعلهم يركزون على الأهداف المتوخاة لحركتهم التحريرية في صراعها مع المحتل (إذ المعركة مع المحتل تحتم عليهم لضمان النصر ذكاء حادا ، وبصيرة نفاذة ، وأساليب علمية متنوعة ، وقدرة على ضبط المراحل ، وإعداد ما يناسبها من مختلف الوسائل) (35). ولما حدد أدباء الحركة الوطنية أهدافهم بدقة واختاروا مناهجهم بعناية حسب تقصيصهم ميدان المقاومة ضد المحتل بجميع أبعاده ، صرفوا عن أذهانهم مسألة الالتزام بمميزات وخصائص الفنون الأدبية ، معتبرين الأهم لديهم تقوية ما وهن من أسس الأمة الجزائرية ، وتصحيح العقيدة ، والمفاهيم وتوحيد سبل المقاومة ، وتوجيه الطاقات توجيهها سليما . فخذ مثلا ما دأب عليه ابن باديس في جريدة "الشهاب" من تثبيت لتراجم أعلام الأمة العربية والإسلامية للمعصر القديم والحديث من مفكرين وعلماء وأدباء ، كأبي ذر ، وعبادة بن الصامت ، وشوقي

ورمضان حمود ، ومحمد رشيد رضا و... معتبرا حياتهم مثالا يحتذى، وموتهم مصابا قوميا مؤلما ، بل ترك فراقهم فراغا عظيما في صفوف العاملين للنهوض الأدبي ، والرقي الفكري بالمجتمع العربي والإسلامي عموما .

ولم يكن غرض ابن باديس في كتاباته لتراجم مشاهير الأمة العربية والإسلامية التفتن في الخصائص الأدبية الحديثة المعروفة لمثل هذه الكتابات ، ولا كان في اعتباره ضرورة الالتزام بها كاملا بحيث لا يجوز الخروج عنها أو التعدي عليها معتبرا أن (ما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر فيه سيرة من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله فأخذ الأصول الثابتة من الماضي وأصلح شأنه في الحال ومد يده لبناء المستقبل . يتناول من زمنه وأمم عصره لبنائه معرضا عما لا حاجة له به أو ما يناسب شكل بنائه الذي وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته ..) (36)

ولم يكن محمد السعيد الزاهري بعيدا عن هذا اللون المهم في الأدب العربي القديم فقد أظهر من خلاله مقاومة عنيفة للطريقين . كما وجدنا له في "البرق" - أيضا - آثارا أدبية مختلفة تنفي من خلالها ما تردد من أن الجزائر لا تملك إرثا أدبيا متنوعا مقاوما للمحتل وأعوانه خلال فترة الاحتلال . ونعتقد أن ما كتب في تلك الحقبة لم يكن إلا عن وعي وفكر مقاومين لما أراده المحتل من نسخ للأصول ومسح للعقول خاصة مسألة التجنس .

لقد كتب محمد السعيد الزاهري عن الشيخ "عمر راسم" الذي سجنه المحتل وبالغ في ذلك ظلما وعدوانا، وعدّه أحد رجال الإصلاح في الجزائر، وأحد المبرزين في فن الرسم والتصوير(37). كما كتب عن الدكتور "محمد ابن أبي شنب" وضرب بمضمون فن السير والتراجم كل من يريد الانسلاخ عن ماضيه (سلام عليك يابن أبي شنب لقد طببت حيا وميتا ، وكنت بعلمك وشرقيتك حجة

الشرق على هؤلاء الذين لا يبتغون العلم والحياة إلا عن طريق التفرنج والاندماج
وقدمت على ربك مؤمنا عالما (38) .

أما بخصوص فن السيرة من خلال أعداد "البرق" فقليل نسبيا إذا ما قورن
بغيره من الأنواع الأدبية مثل المقالة والرسالة، فقد بلغ ما نشر منه ستة مواضيع.
وكان محمد السعيد الزاهري أسبق كتاب "البرق". بموضوعه المقسم على العديدين
الثامن والتاسع تحت عنوان : (وفد الشعراء يزور طولقة وفرفار والبرج) . أظهر
فيه الزاهري استعداد رواد الحركة الإصلاحية الشابة لمقاومة التقاليد والعادات
الشائعة ، التي تجتهد الطرقية في نشرها بين صفوف الجزائريين وهو الأمر الذي أشار
إليه محمد السعيد الزاهري في تلك الزيارة التي قام بها مع وفد من الشعراء الجزائريين
إلى بعض مدن الصحراء الجزائرية ، والتي وظف أعضاء هذا الوفد أحداث الرحلة
لضرب معتقدات الطرقية السياسية والدينية الخاطئة ، التي تخدم المحتل وتعينه على
إفراغ الدين من محتواه الحضاري والجهادي .

أما بقية المواضيع فأربع ، منها اثنان حول سيرة محمد السعيد الزاهري
كتعريف عام بهذا العلم . وقد نشر الموضوع -إثر شائعات حول شخص
الزاهري(39)- باسم جماعة من أولياء تلاميذ المدرسة التي فتح محمد السعيد أبوابها
أمام أطفال مدينة الأغواط بقصد محاربة الجهل الذي فرضه المحتل على أبناء الجزائر
آنذاك .

مما سبق يتبين لنا أن الزاهري استطاع من خلال كتاباته أن ينوع في مجال
الكتابة حول المقاومة ، وأن يواكب التطور الذي شهده فن السيرة في العصر
الحديث ، وأن يسايره شكلا ومضمونا ومن الخصائص التي برزت لنا ما يلي :

1- أورد الزاهري أحداث رحلته مع وفد الشعراء إلى طولقة وفرفار والبرج وفق تسلسل زمني مناسب لهذا النوع من الكتابة ، حيث تتبع من خلاله أخبار الصباح والمساء كما وقعت .

2- اعتمد على التحليل النفسي - ولو كان بسيطاً - لتفسير مواقف شيخ الطريقة الذي التقى وفد الشعراء به وهو في طريقه إلى فرفار ، حيث تعرف محمد السعيد الزاهري والوفد المرافق له - من صفحات وجه الطريقي - على شدة الحقد الذي يكنه الطريقون للشباب الناهض في الجزائر .

3- ربط الزاهري تصرفات شيخ الطريقة بمحيطه الاجتماعي والسياسي والديني وحاول أن يطرق قانون التأثير والتأثر في المجتمع .

4- إن اعتماد الزاهري في عرض سيرته على النمط القصصي الذي يعتمد على السرد والذي يتخلله في بعض الأحيان الحوار الموجز وتوظيفه لبعض المقطوعات الشعرية، لدليل على مساهمة هذا الفن في الجزائر للتطور الذي شهدته الأنواع الأدبية في العصر الحديث.

5 - تقيد الزاهري في كتاباته للسير بالموضوعية ، وغلب فيها العقل على العاطفة ، وتقيد من خلالها بالحقيقة ، وابتعد عن هوى النفس والإطراب في مدح الأشخاص الذين يحبهم كالطيب العقبي ، والتقصير في حق غيرهم كأحمد بن عليوة شيخ الطريقة العليوية وهذا العنصر قد يجعل الموضوع مؤثراً ومقنعاً .

لعل هذه النقاط التي ميزت كتابات الزاهري في هذا المجال هي خصائص فن السيرة في العصر الحديث ، وبما تبوأ كتابات سير طه حسين والملازمي وغيرهما من مشاهير كتاب العرب في العصر الحديث مكانة عالية في الكتابة النثرية للعصر الحديث.

وبالإضافة إلى أنواع الكتابة في جريدة "البرق" من المقالة والشعر والسيرة والترجمة نجد كتابة الرسالة أيضا ، ولا خلاف فإن الرسالة وسيلة من وسائل التبليغ وهي قسمان : إدارية وإخوانية ، ولا تهم الدراسات الأدبية إلا بالفنية منها ، وتأتق فيها أصحابها واتخذوها موضوعا للعناية الفنية سواء أكانت عامة أم خاصة .

ولم يكن هذا الفن بالغريب على أدباء تمرسوا في أرضهم على فنون مقاومة المحتل وكذلك مقاومة أذنابه من العملاء والجمعيات والطرق المنتشرة في الجزائر وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى . وقد عرضت جريدة "البرق" نماذج حية كافية للبرهنة على مساهمة هذا النوع من الكتابة (الرسالة) في تنوير الشعب الجزائري بالأفكار القومية والوطنية اعتبارا من أن الرسائل بين المفكرين والعلماء والمصلحين لا تشغل إلا بما ينفع البلاد والعباد ، ولهذا كان من الواجب على أصحابها من هذه الطبقة المثقفة نشرها على صفحات الجرائد الوطنية - اليومية والأسبوعية - وذلك من أجل تنوير الرأي العام بما يحدث في أرجاء البلاد كما ذهب إلى ذلك (أبو حفص الحمادي) (40) بقوله : (بل رسائلهم الخاصة لا تخوض إلا فيما ينفع البلاد والعباد ، فهي مقالات ضافية تندفق بالفوائد العامة . وليس السداد إن يحرم الناس من الإطلاع عليها بل الواجب في نظري أن تنشر على الجرائد السيارة كما تنشر المقالة العمومية) (41).

أما محمد السعيد الزاهري فقد اعتبر الرسائل الخاصة التي يتناصح من خلالها أبناء الوطن الواحد شعورا حيا ، ووطنية حقيقية ، جاء ذلك في تعليق له على رسالة نشرها الكاتب (أبو حفص الحمادي) في العدد العاشر من جريدة "البرق" (42) حينما وجه نظر رواد الحركة الإصلاحية إلى خطر التبشير في بلاد القبائل، وعد ذلك أكثر من الطرقية فسادا، فقال: (هكذا فلتكن الرسائل بين أبناء الجزائر وهكذا فليتناصح الكتاب وهذا هو الشعور الحي وهذه هي الوطنية) (43).

لقد كان فن الرسائل في جريدة " البرق " يخدم أركان الإصلاح في الجزائر - مثلما خدمها كل نوع من الأنواع الأدبية - ويبحث في قضايا الوطن وانشغالات الناس ، ويمكن للأفكار القومية ، وينتصر للوطنية ، ويكشف الوجه الحقيقي للطرقية ؛ كما جاء في رسالة سمهري (الأمين العمودي) إلى الأخوين بيضاوي وتأبط شرا (مبارك الملي و الزاهري) التي جملت بها جريدة "البرق" صدر العدد السادس(44) منها . وجه سمهري (الأمين العمودي) من خلالها أنظار المصلحين إلى ضرورة منازلة كتائب الشرك والنفاق والتي عبر عنها بـ (الأقلام الفاجرة) . قال : (ولا بأس أن أنبهكما إلى أمر - لا أظنكما تجهلانه - وهو الأولى والأحق بقراعنا ، هم المنتصرون للخرافيين المؤيدون لعقائدهم الخبيثة ، المشجعون الجريئون لهم على التماذي في ضلالهم وهواهم بما أسميه الأقلام الفاجرة، دحر كتيبة بل كتائب من جيش الشرك والنفاق هذا رأيي فما رأيكما) (45) .

وأينما سارت المقاومة صحبتها مواضيع فن الرسالة ، فمن ميدان انتقاد الشخصيات النيابية الصورية التي لا تنفع الأمة ، بل تضرها سياسيا واجتماعيا وثقافيا ، وتزيد من عمر شقاوة الجزائري وآلامه ، إلى ميدان مقاومة ظلم اليهود للشعب الجزائري، حيث كتب السعيد الزاهري رسالة شديدة اللهجة ووجهها إلى الراهب الكبير، رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي ، ووجه أصابع الاتهام فيها إلى هذه الطائفة ، واعتبرها سببا من أسباب مآسي الجزائريين في ظل الاحتلال الفرنسي .

كان فن الرسالة - أيضا - حاضرا في مقاومة الانتخابات الصورية مشيدا بمواقف العلماء المصلحين وذلك بالدعوة إلى ضرورة التفاف الأمة حول رموز الإصلاح في الجزائر أمثال "عمر راسم" ومساندتهم ليفوزوا أثناء الانتخابات وليكونوا بلسما لجراحاتهم الكثيرة والمتعددة.

لقد كانت عشر رسائل في سبعة أعداد - كلها لإذكاء إحساس الوطنية والقومية ومشاعرهما لدى الجزائريين بصورة عامة ، ولدى الشباب الناهض خاصة - مؤشرا دالا على حضور هذا النوع من الكتابة وإسهامه - إلى جانب أنواع الكتابة الأخرى - في المقاومة من أجل إحياء الأمة الجزائرية واستعادة دورها الحضاري على أراضيها المستقلة . وهكذا يمكن القول بأن فن الرسالة - كغيره من الفنون الأدبية - أدى دورا أساسيا في مقارعة الباطل والضلال ، وشهد ميدانه على صفحات جريدة "البرق" نشاطا في سبيل نشر أفكار الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى .

الهوامش:

- 1- المنجد في اللغة والأعلام ، ط 31 ، دار المشرق بيروت - لبنان - 1991 م ، ص 839 .
- 2- ابن منظور ، لسان العرب ، دار لسان العرب ، لبنان ، 1970م ص 831 .
- 3- كاتب مصري
- 4- الغباشي ، شعيب ، صحافة الإخوان المسلمين دراسة في الأصول والفنون ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة - مصر - 2004 م ، ص 11 .
- 5- الغباشي ، شعيب ، صحافة الإخوان المسلمين دراسة في الأصول والفنون ، نقلا عن سلامة عبده ، التحرير الصحفي في المجالات الإسلامية المتخصصة خلال العقدين الثامن والتاسع من القرن العشرين ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام جامعة القاهرة - مصر - ص 62 .
- 6- 23 عددا .
- 7- محمود أدهم ، الأسس الفنية للتحرير الصحفي العام، الطبعة الأولى الناشر المؤلف، 1984م . ص 180
- 8- الغباشي شعيب ، صحافة الإخوان المسلمين دراسة في الأصول والفنون ، نقلا عن كرم شبلي ، الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية ، ص 115 .
- 9- الغباشي شعيب ، صحافة الإخوان المسلمين دراسة في الأصول والفنون ، نقلا عن ، إبراهيم إمام ، دراسات في الفن الصحفي ، مكتبة الأنجلومصرية الطبعة الأولى ، القاهرة - مصر - ص 64 .
- 10- نجم محمد يوسف ، فن المقال ، ط 4 ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت - لبنان - د . ص 95
- 11- التحرير " الفاتحة " البرق ، العدد 1 ، بتاريخ 3 رمضان 1345هـ الموافق لـ 7 مارس 1927م ، ص 1.

- 12- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- 13- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- 14- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- 15- المرجع نفسه ، ص ن .
- 16- التحرير " الفاتحة " البرق ص 1 .
- 17- كاتب جزائري .
- 18- الجليلي ، محمد بن العابد " مظاهر العدل في خفايا الإدارة " ، البرق ، عدد 20 بتاريخ 26 محرم م 1346هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927م ، ص 1 .
- 19- م ن ، ص ن .
- 20- م ن ، ص ن .
- 21- محمد كباش " الحرية " البرق ، عدد 11 ، بتاريخ 12 ذي القعدة 1345هـ الموافق لـ 16 ماي 1927م ، ص 2 .
- 22- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- 23- آلهة النبات عند اليونان .
- 24- الأخضري ، عباسية " الشعر الفحل في الرد على عصابة الباطل والجهل " البرق ، عدد 20 ، بتاريخ 26 محرم 1346هـ الموافق لـ 24 جويلية ، 1927م ص 3 .
- 25- كاتب جزائري .
- 26- جريدة البرق ، العدد 1 ، بتاريخ 3 رمضان 1345هـ ، المؤلف لـ 7 مارس 1927م ، ص 3
- 27- المصدر نفسه ، ص ن .
- 28- جريدة البرق ، العدد 8 ، بتاريخ 23 شوال 1345هـ ، المؤلف لـ 25 أفريل 1927م ، ص 1
- 29- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- 30- وارزقي حسن . " تكريم شوقي بالجزائر " . البرق . عدد 18 بتاريخ الاثنين 12 محرم الحرام 1346هـ ، المؤلف لـ 11 جويلية 1927م . ص 2 .
- 31- تأبط شرا " سكيرج " ، البرق . عدد 12 . بتاريخ الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ ، المؤلف لـ 23 ماي ، 1927م . ص 2 .
- 32- احتوت جريدة " البرق " على ستة مواضيع نعتقد أنها سيرة ، ومنها " الأستاذ الزاهري " العدد 19 ، بتاريخ 19 محرم الحرام 1346هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927م ، ص 1 .
- 33- شيبان ، عبد الرحمان ، آثار عبد الحميد بن باديس ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية 1984 ، ص 12 .

- 34- آثار عبد الحميد بن باديس ، عن الشهاب ، ج 3 ، مجلد 12 ، ط 1 ، ربيع الأول 1335 هـ ،
جوان 1936 ، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة - الجزائر - 1984 م ، ص 9 .
- 35- خرفي صالح ، محمد السعيد الزاهري ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 م ، ص
113 .
- 36- المصدر السابق ، ص 142 .
- 37- جماعة من أولياء التلاميذ " الزاهري بالأغواط " البرق ، عدد 19 ، تاريخ 19 محرم 1346 هـ
الموافق لـ 18 جويلية 1927
- 38- كاتب جزائري .
- 39- حساس " الرسائل الخاصة " البرق ، عدد 10 ، بتاريخ الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق
لـ 9 ماي 1927 م ، ص 1 .
- 40- المرجع نفسه ، المصدر نفسه ، ص ن .
- 41- المرجع السابق ، ص ن .
- 42- سمهري " إلى الأخوين : بيضاوي وتأبط شرا ، البرق عدد 6 ، بتاريخ الاثنين 9 شوال 1345 هـ
الموافق لـ 11 أفريل 1927 م ، ص 1 .
- 43- سمهري " إلى الأخوين : بيضاوي وتأبط شرا " المرجع نفسه ، ص ن .

